

مُوسَى وَالْعَلِيْقَةُ الْمُتَقِدَّةُ

المحاضرة ١٠: ظِلُّ لِلْمَسِيحِ

أ.ر. سي. سزول

أَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِنَ الْمُنْطِقِي الْقَوْلِ إِنَّ أَعْظَمَ مُهِمَّةٍ تَمَّ إِنْجَازُهَا يَوْمًا فِي تَارِيخِ الْعَالَمِ هِيَ الْمُهُمَّةُ الَّتِي أَنْجَزَهَا الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ حِينَ افْتَدَى شَعْبَهُ مِنَ الْخَطِيئَةِ. لَكِنْ يَجِبُ أَنْ أَقُولَ إِنَّ ثَانِيًا أَهَمَّ عَمَلٍ فِدَاءٍ تَمَّ إِنْجَازُهُ يَوْمًا فِي التَّارِيخِ، وَثَانِيًا أَصْعَبُ مُهِمَّةٍ كَلَّفَ بِهَا اللَّهُ إِنْسَانًا يَوْمًا، هِيَ الْمُهُمَّةُ الَّتِي كَلَّفَ بِهَا اللَّهُ مُوسَى لِكَيْ يُنْجِزَهَا. نَحْنُ مُعْتَادُونَ جِدًّا عَلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ لِذَرَجَةِ أَيْ أَعْتَقِدُ أَنَّنَا لَا نُكْوِّنُ فِكْرَةً عَنِ الْعَذَابِ الْوُجُودِيِّ الَّذِي كَانَ عَلَى مُوسَى أَنْ يَمْرَّ بِهِ شَخْصِيًّا، لَا سِيَّمَا وَأَنَّ صَخَامَةَ الْمُهُمَّةِ الَّتِي وَضَعَهَا اللَّهُ عَلَى عَاتِقِهِ اخْتَرَقَتْ وَعَيْهُ وَوَصَلَتْ إِلَى قَلْبِهِ.

نَرْجِعُ مُجَدِّدًا إِلَى ذَلِكَ الْحَوَارِ عِنْدَ الْعَلِيْقَةِ الْمُتَقِدَّةِ، حَيْثُ إِنَّهُ وَبَعْدَ أَنْ كَشَفَ اللَّهُ اسْمَهُ الْقُدُّوسِ لِمُوسَى قَائِلًا: "هَذَا اسْمِي إِلَى الْأَبَدِ وَهَذَا ذِكْرِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ". مَا زِلْنَا فِي الْأَصْحَاحِ الثَّلَاثِ مِنْ سِفْرِ الْخُرُوجِ. ثُمَّ قَالَ اللَّهُ: "اذهَبْ وَاجْمَعْ شَيْوُخَ إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: الرَّبُّ إِلَهُ آبَائِكُمْ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ظَهَرَ لِي قَائِلًا: إِنِّي قَدْ افْتَقَدْتُكُمْ وَمَا صُنِعَ بِكُمْ فِي مِصْرَ. فَقُلْتُ أَصْعِدْكُمْ مِنْ مَدْلَةَ مِصْرَ إِلَى أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحَوِيِّينَ وَالْيَهُوسِيِّينَ، إِلَى أَرْضِ تَفِيضُ لَبْنَا وَعَسَلًا." فَإِذَا سَمِعُوا لِقَوْلِكَ، تَدْخُلُ أَنْتَ وَشَيْوُخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى مَلِكِ مِصْرَ وَتَقُولُونَ لَهُ: الرَّبُّ إِلَهُ الْعِبْرَانِيِّينَ التَّقَانَا، فَالآنَ نَمْضِي سَفَرًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَنَذْبُحُ لِلرَّبِّ إِلَهِنَا".

هُنَا، مَا زَالَ اللَّهُ يَتَحَدَّثُ مَعَ مُوسَى قَائِلًا: "وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ لَا يَدْعُكُمْ تَمْضُونَ وَلَا بِيَدِ قُوَّةٍ، فَأَمُدُّ يَدِي وَأَضْرِبُ مِصْرَ بِكُلِّ عَجَائِبِي الَّتِي أَصْنَعُ فِيهَا. وَبَعْدَ ذَلِكَ يُطْلِقُكُمْ. وَأَعْطِي نِعْمَةً لِهَذَا الشَّعْبِ فِي عِيُونِ الْمِصْرِيِّينَ. فَيَكُونُ حِينَئِذٍ تَمْضُونَ أَنْتُمْ لَا تَمْضُونَ فَارِغِينَ. بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةٍ بَيْتِهَا أُمَّتَعَةً وَفَضَّةً وَأُمَّتَعَةً ذَهَبًا وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلُبُونَ الْمِصْرِيِّينَ".

إِذَا كُنْتُ وَاقِفًا هُنَاكَ أَسْتَمِعُ إِلَى تِلْكَ الرِّسَالَةِ الْمُنْبَيِّقَةِ مِنَ الْعَلِيْقَةِ الْمُتَقِدَّةِ فَالْفِكْرَةُ الَّتِي تَخْطُرُ فِي بَالِي هِيَ الْآيَةُ "هَلْ هَذَا كُلُّ مَا يَجْدُرُ بِي فِعْلُهُ؟ أَنْتَ تَقُولُ لِي إِنِّي سَأَذْهَبُ وَأُخْبِرُ الشَّعْبَ بِأَنَّكَ ظَهَرْتَ لِي فِي تِلْكَ الْعَلِيْقَةِ الْمُتَقِدَّةِ، وَإِنَّهُ يَجْدُرُ بِهِمْ أَنْ يَتَّبِعُونِي ضَمَّنْ أَكْبَرَ تَوْقُفٍ مُفَاجِئٍ عَنِ الْعَمَلِ فِي تَارِيخِ الْعَالَمِ ضِدَّ أَقْوَى مَلِكٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَإِنَّهُمْ سَيَتَّبِعُونِي؟" هَذَا مَا قَدْ أَفَكَّرْتُ فِيهِ. وَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَمَّا فَكَّرْتُ فِيهِ مُوسَى حَتَّى بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ ضَمَانَةً قَائِلًا: "أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ فِرْعَوْنَ لَنْ يُطْلِقَ سَرَاحَكُمْ، أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقَاوِمُكُمْ طَوَالَ الْوَقْتِ، لَكِنِّي سَأُظْهِرُ قُوَّتِي ضِدَّ فِرْعَوْنَ إِلَى أَنْ يَجِيئَ الْوَقْتُ الَّذِي يُطْلِقُ فِيهِ سَرَاحَكُمْ فَتَصْعَدُوا إِلَى الْجَبَلِ وَتَعْبُدُونِي هُنَاكَ".

مُجَدِّدًا، لا تُفَوِّثُوا هَذِهِ الْفِكْرَةَ. إِنَّ الْهَدَفَ مِنَ الْخُرُوجِ لَمْ يَكُنْ بِبَسَاطَةٍ تَحْرِيرِ الشَّعْبِ مِنَ الظُّلْمِ، وَإِنَّمَا تَحْرِيرُهُمْ، لَيْسَ مِنْ أَمْرِ مَا فَحَسَبُ، بَلْ نَقَلَهُمْ إِلَى أَمْرٍ آخَرَ أَيْضًا، مِنَ الْعُبُودِيَّةِ إِلَى الْعِبَادَةِ. هَذَا يَنْطَبِقُ بِدَرَجَاتٍ أَعْلَى عَلَى عَمَلِ الْفِدَاءِ الَّذِي قَامَ بِهِ يَسُوعُ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ. نَحْنُ لَمْ نَخْلُصْ بِبَسَاطَةٍ بِفَضْلِ نِعْمَةِ اللَّهِ لِكَيْ يَتِمَّ تَسْدِيدُ احْتِيَاجَاتِنَا، وَإِنَّمَا نَحْنُ مَدْعُونَ لِعِبَادَتِهِ، هَذَا هُوَ الْهَدَفُ. هَذَا هُوَ الْعَرَضُ مِنْ خِلَاصِكُمْ، أَنْ تَعْبُدُوا الرَّبَّ إِلَهُكُمْ. لِهَذَا السَّبَبِ مَثَلًا يَقُولُ كَاتِبُ رِسَالَةِ الْعِبْرَانِيِّينَ إِنَّهُ يَجْدُرُ بِنَا أَلَّا نُهْمَلَ اجْتِمَاعَاتِ الْقِدِّيسِينَ. وَمَعَ ذَلِكَ تُبَيِّنُ الْإِحْصَائِيَّاتُ أَنَّهُ فِي أَيِّ يَوْمٍ أَحَدٍ يَمْتَنِعُ رُبْعُ شَعْبِ اللَّهِ عَنِ الذَّهَابِ إِلَى الْكَنِيسَةِ، لِمَاذَا؟ نَحْنُ لَا نَذْهَبُ إِلَى الْكَنِيسَةِ لِيَتِمَّ تَسْجِيلُ حُضُورِنَا، نَحْنُ نَذْهَبُ إِلَى الْكَنِيسَةِ لِأَنَّهُ افْتَدَانًا. وَيُفْتَرَضُ بِشَعْبِ الرَّبِّ أَنْ يَقُولُوا ذَلِكَ أَيْضًا. نَحْنُ نَأْتِي بِقُلُوبٍ مُمْتَلِئَةٍ وَقَارًا وَعِبَادَةً، وَنَنْصُمُّ إِلَى جَمَاعَةِ شَعْبِ اللَّهِ لِكَيْ نَعْبُدَهُ.

لَكِنَّ مُوسَى سَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ، فَتَشَأَّ صِرَاعٌ فِي دَاخِلِهِ. كَمَا نَرَى فِي بَدَايَةِ الْأَصْحَاحِ الرَّابِعِ، اسْمَعُوا مَا نَقْرَأُ: "فَأَجَابَ مُوسَى: "وَلَكِنْ هَا هُمْ لَا يُصَدِّقُونِي وَلَا يَسْمَعُونَ لِقَوْلِي، بَلْ يَقُولُونَ لَمْ يَظْهَرْ لَكَ الرَّبُّ" أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الْاسْتِجْوَابِ هَذَا؟! هَا إِنَّ مُوسَى يَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُفَكِّرَ فِي بَعْضِ الْاحْتِمَالَاتِ الَّتِي رُبَّمَا لَمْ تَحْظُرْ فِي بَالِهِ فِي تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ. افْرِضْ يَا رَبُّ أَنْ هُوَ لَئِذَا الْقَوْمَ لَمْ يُصْغُوا إِلَيَّ وَقَالُوا: "أَمْتًا كَدُّ أَنْتَ يَا مُوسَى؟ مَا الَّذِي كُنْتَ تُدْخِنُهُ فِي بَرِّيَّةِ مِديَانَ؟"

ثُمَّ رَاحَ مُوسَى يُفَكِّرُ "مَاذَا سَأَعُلُ؟ مِنَ الْمُفْتَرَضِ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى هُوَ لَئِذَا الْأَشْخَاصِ وَأَقُولُ لَهُمْ: "سَوْفَ نَرْحَلُ عَنْ أَرْضِ الْمِصْرِيِّينَ، سَنَذْهَبُ إِلَى أَرْضٍ رَائِعَةٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا. لَا لِلْعُبُودِيَّةِ بَعْدَ الْيَوْمِ، سَوْفَ نُصْبِحُ أَحْرَارًا. وَسَيَقُولُونَ: "كَيْفَ عَرَفْتَ ذَلِكَ؟" فَأَجِيبُهُمْ: "سَأُخْبِرُكُمْ... يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَأَقْرَعَ بَابَ قَصْرِهِ. وَحِينَ يَأْتِي الْقَيْمُ عَلَى الْقَصْرِ قَائِلًا: "مَنْ أَنْتَ؟" سَأُجِيبُ: "أَنَا أَدْعَى مُوسَى". وَسَيَقُولُ: "لَا أَعْرِفُ شَيْئًا عَنْكَ بِاسْتِثْنَاءِ أَنِّي سَمِعْتُ عَنْ هَارِبٍ يَحْمِلُ هَذَا الْاسْمَ، وَهُوَ لَا يَزَالُ هَارِبًا. هَلْ لَدَيْكَ مَوْعِدٌ؟" "لا". "مَا الَّذِي يَجْعَلُكَ تَظُنُّ أَنْ يَأْمَكَ الْمَجِيءُ إِلَى هُنَا وَالتَّحَدُّثُ مَعَ فِرْعَوْنَ؟" "كُنْتُ أَتَحَدَّثُ مَعَ تِلْكَ الْعُلَيْقَةِ فِي بَرِّيَّةِ مِديَانَ".

إِذَا، حَاوَلَ مُوسَى التَّفَكِيرَ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ كُلِّهَا وَقَالَ لِلَّهِ: "فَكِّرْ فِي الْأَمْرِ. مَاذَا لَوْ لَمْ يُصَدِّقُونِي أَوْ يَسْمَعُوا لِقَوْلِي؟" مَاذَا لَوْ قَالُوا: "لَمْ يَظْهَرْ لَكَ الرَّبُّ". هَذَا هُوَ السُّؤَالُ الَّذِي طَرَحَهُ مُوسَى، كَيْفَ سَأْتَمَكَّنُ مِنْ إِفْنَاعِ أَيِّ شَخْصٍ، بَنِي إِسْرَائِيلَ وَفِرْعَوْنَ، بِأَنِّي أَقُولُ كَلَامَكَ؟ كَيْفَ يُمَكِّنُنِي أَنْ أُثْبِتَ أَنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ لَيْسَتْ حُلْمًا رَاوَدَنِي فِي حِمَاةِ الْحَرِّ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ فِي الْبَرِّيَّةِ، بَلْ إِنِّي أَقُولُ الْحَقَّ، كُلَّ الْحَقِّ الَّذِي كَلَّمْتَنِي بِهِ؟" كَيْفَ تُجِيبُ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ؟ هَلْ يُفْتَرَضُ بِمُوسَى أَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ: "هَذَا هُوَ الْاِحْتِبَارُ الَّذِي مَرَرْتُ بِهِ. عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَقَبَّلُوا الْأَمْرَ بِالْإِيمَانِ؟" أَوْ "يَا فِرْعَوْنَ، قَدْ لَا تُصَدِّقُ هَذَا الْأَمْرَ، لَكِنْ خُذْ نَفْسًا عَمِيقًا وَافْزِرْ فِي الظُّلْمَةِ، فِي الْهَوَايَةِ، فَمُ بَوْنَبَةِ إِيْمَانٍ وَقَدْ تَتَوَصَّلُ إِلَى الْاسْتِنْتِجَاجِ أَنَّ الرَّبَّ الْإِلَهَ الْكَلِمَةُ الْقُدْرَةُ هُوَ مَصْدَرُ هَذِهِ الرِّسَالَةِ".

لَيْسَ هَذَا مَا طَلَبَ اللَّهُ مِنْ مُوسَى فِعْلَهُ. أَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِنَ الْمُهِمِّ جِدًّا أَنْ نَفْهَمَ كَيْفَ أَجَابَ اللَّهُ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ الَّذِي طَرَحَهُ مُوسَى. اسْمَعُوا مَا جَاءَ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ: "فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: "مَا هَذِهِ فِي يَدِكَ؟" فَقَالَ: "عَصَا". فَقَالَ (اللَّهُ): "اطْرَحْهَا إِلَى الْأَرْضِ". فَطَرَحَهَا (مُوسَى) إِلَى الْأَرْضِ فَصَارَتْ حَيَّةً". فَرَأَى مُوسَى كَيْفَ تَحَوَّلَتْ تِلْكَ الْعَصَا إِلَى حَيَّةٍ، فَهَرَبَ مِنْ تِلْكَ الْحَيَّةِ بِأَسْرَعٍ مَا يَكُونُ. "ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: "مُدَّ يَدَكَ وَأَمْسِكْ بِذَنْبِهَا". مَاذَا؟ "يَا رَبُّ هَذِهِ حَيَّةٌ سَامَةٌ، وَأَنْتَ تُرِيدُ مِنِّي أَنْ أَحْمِلَهَا؟" فَقَالَ اللَّهُ: "هَذَا مَا فُلْتُهُ مَدَّ يَدَكَ، ابْسِطْ يَدَكَ وَاقْتَرِبْ إِلَى تِلْكَ الْحَيَّةِ وَأَمْسِكْ بِذَنْبِهَا". "حَسَنًا". "فَمَدَّ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ، فَصَارَتْ عَصَا فِي يَدِهِ". وَقَالَ اللَّهُ: "لِيُيْصَدِّقُوا أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لَكَ الرَّبُّ إِلَهُ آبَائِهِمْ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ". لَقَدْ مَنَحْتِكَ الْقُدْرَةَ عَلَى تَحْوِيلِ هَذِهِ الْعَصَا إِلَى حَيَّةٍ لِيُيْصَدِّقَ الشَّعْبُ أَنَّكَ تَنْقُلُ كَلَامِي فِعْلًا.

هَلْ تَعْرِفُونَ مَا الَّذِي أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَهُ دَائِمًا "يَكْفِي أَنْ أَرَى مُعْجَزَةً لِيُيْصَدِّقَ أَنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ. لَمْ تُعْطِ الْمُعْجَزَاتُ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِإِقْنَاعِ النَّاسِ بِوُجُودِ اللَّهِ، فَلَقَدْ كَانَ وُجُودُ اللَّهِ مُثَبَّتًا قَبْلَ فِتْرَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْ حُدُوثِ أَيِّ مُعْجَزَةٍ. وَالْهَدَفُ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لَيْسَ إِثْبَاتُ وُجُودِ اللَّهِ، بَلْ إِثْبَاتُ شَرِيعَةٍ وَصَلَابَةٍ وَسَيِّطِ الْإِعْلَانِ الْإِلَهِيِّ، الشَّخِصِ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ بِإِعْلَانِ كَلِمَتِهِ. الْهَدَفُ مِنَ الْمُعْجَزَةِ هُوَ التَّحَقُّقُ مِنْ صِدْقِ رَسُولِ كَلِمَةِ اللَّهِ. لَاحِظُوا هَذَا الْأَمْرَ فِي جَمِيعِ أَسْفَارِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ.

نَحْنُ نَمِيلُ إِلَى قِرَاءَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مُعْتَبِرِينَ أَنَّ الْمُعْجَزَاتِ كَانَتْ تَحْدُثُ وَرَاءَ كُلِّ شَجَرَةٍ، وَيَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ مِنْ خِلَالِ جَمِيعِ النَّاسِ فِي التَّارِيخِ. لَكِنْ فِي الْوَاقِعِ، إِذَا دَرَسْتُمْ ظُهُورَ الْمُعْجَزَاتِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، فَهُوَ مُتَفَاوِتٌ. حَدَّثَتْ كُلُّ تِلْكَ الْمُعْجَزَاتِ لِحُدُومَةِ مُوسَى فِي مَرْكَزِهِ كَوَسِيطٍ. وَبَعْدَ ذَلِكَ، لَمْ يَحْدُثْ إِلَّا عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ طَوَالَ قُرُونٍ حَتَّى مَتَى؟ لَيْسَ إِلَى مَجِيءِ يَسُوعَ، بَلْ إِلَى إِبِلْيَا. هَذِهِ هِيَ الْحِقْبَةُ الثَّلَاثِيَّةُ فِي تَارِيخِ الْفِدَاءِ، الَّتِي تَمَّتْ فِيهَا مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ.

أَلَيْسَ مِنَ الْلافِتِ أَنَّ اللَّهَ أَثَبَّتَ صِحَّةَ النَّامُوسِ وَالْأَنْبِيَاءِ مِنْ خِلَالِ مَنَحِهِمْ قُدْرَةً عَلَى صُنْعِ الْمُعْجَزَاتِ؟ بَعْدَ ذَلِكَ، لَا تَسْمَعُونَ بِصُنْعِ مُعْجَزَاتٍ عَلَى يَدِ يُونَانَ أَوْ حَبَقُوقَ أَوْ حِزْقِيَالَ أَوْ أَنْبِيَاءِ آخَرِينَ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، إِلَى أَنْ عَادَ الْعَالَمُ لِيَشْهَدَ تَدْفُقًا لِلْمُعْجَزَاتِ مَعَ ظُهُورِ يَسُوعَ. لَاحِظُوا أَنَّهُ تَوَجَّدَ نُقْطَةٌ مَحْوَريَّةٌ خَاصَّةٌ لِصُنْعِ مُعْجَزَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي تَارِيخِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَهِيَ كُلُّهَا مُحِيطَةٌ بِمَسْأَلَةِ "كَلِمَةِ اللَّهِ".

إِذَا، بَعْدَ أَنْ صَنَعَ اللَّهُ هَذِهِ الْمُعْجَزَةَ لِمُوسَى أَصَافَ قَائِلًا: "ثُمَّ قَالَ لَهُ الرَّبُّ أَيضًا: "أَدْخِلْ يَدَكَ فِي عُبَّكَ". فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي عُبِّهِ -مِثْلَ نَابِلْيُون- ثُمَّ أَخْرَجَهَا، وَإِذَا يَدُهُ بَرِصَاءٌ مِثْلَ الثَّلْجِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: "رُدَّ يَدَكَ إِلَى عُبَّكَ". فَرَدَّ يَدَهُ إِلَى عُبِّهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا مِنْ عُبِّهِ، وَإِذَا هِيَ قَدْ عَادَتْ مِثْلَ جَسَدِهِ. فَيَكُونُ إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوا وَلَمْ يَسْمَعُوا لِصَوْتِ الْآيَةِ الْأُولَى، أَنَّهُمْ يُصَدِّقُونَ صَوْتِ الْآيَةِ الْآخِرَةِ. وَيَكُونُ إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوا هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، وَلَمْ يَسْمَعُوا لِقَوْلِكَ، أَنَّكَ تَأْخُذُ مِنْ مَاءِ النَّهْرِ

وَتَسْكُبُ عَلَى الْيَابِسَةِ، فَيَصِيرُ الْمَاءُ الَّذِي تَأْخُذُهُ مِنَ النَّهْرِ دَمًا عَلَى الْيَابِسَةِ". هَذَا مَا جَرَى تَحْدِيدًا، خِلَالَ سِلْسِلَةِ الضَّرَبَاتِ الَّتِي أَصَابَتْ الْمِصْرِيِّينَ، وَالَّتِي كَانَتْ مُصَمَّمَةً لِثُبُوتِ فِرْعَوْنَ أَنَّ مُوسَى لَيْسَ حَالِمًا صَاحِبَ رُؤْيَا سَخِيفَةٍ، بَلْ إِنَّ مُوسَى يُعَلِّمُ كَلَامَ الرَّبِّ الْإِلَهَ الْكَلِمَةَ الْقُدْرَةَ.

ثُمَّ نَصَلُ إِلَى الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، حَيْثُ تَمَّتْ أَعْظَمُ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ فِي التَّارِيخِ الْمَكْتُوبِ، خِلَالَ خِدْمَةِ يَسُوعَ. وَلَمْ يَكُنِ الْهَدَفُ مِنْ خِدْمَةِ يَسُوعَ إِثْبَاتُ وُجُودِ اللَّهِ، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ. هَلْ تَعْلَمُونَ مَنْ فَهَمَ فِعْلًا سَبَبَ قِيَامِ يَسُوعَ بِالْمُعْجَزَاتِ الَّتِي تَمَّمَهَا؟ مَا هُوَ السَّبَبُ الرَّئِيسِيُّ؟ فَصَدَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ لَيْلًا، وَكَانَ اسْمُهُ نِيفُودِيمُوسَ، وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ: "تَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّمًا، لِأَنَّ لَيْسَ أَحَدًا يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ". فِي تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ بَدَأَ لَاهُوتُ نِيفُودِيمُوسَ، أَقْلُهُ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ. فِي وَقْتٍ لَاحِقٍ أَصْبَحَ مَشْكُوكًا فِي أَمْرِهِ. لَكِنْ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ بَدَأَ لَاهُوتُهُ سَلِيمًا تَمَامًا، بَلْ أَكْثَرَ صِحَّةً مِنْ لَاهُوتِ أَعْدَاءِ يَسُوعَ، مِثْلِ الْفَرِيسِيِّينَ الَّذِينَ لَمْ يُنْكِرُوا مُعْجَزَاتِ الْمَسِيحِ لَكِنَّهُمْ كَادُوا أَنْ يُجَدِّفُوا عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ تَجْدِيفًا خَطِيرًا، حِينَ نَسَبُوا قُوَّةَ يَسُوعَ عَلَى صُنْعِ الْمُعْجَزَاتِ لَا إِلَى اللَّهِ بَلْ إِلَى الشَّيْطَانِ، كَمَا لَوْ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَعْمَلُ ضِدَّ نَفْسِهِ.

أَحَدُ الْمَوَاضِعِ الَّتِي أَنْاقَشَهَا مَعَ النَّاسِ طَوَالَ الْوَقْتِ يَتَمَحَوَّرُ حَوْلَ مَا إِذَا كَانَ الشَّيْطَانُ قَادِرًا عَلَى صُنْعِ مُعْجَزَاتٍ، فَأَجِيبُ: "لا لا لا، وَأَلْفَ لَا". فَالشَّيْطَانُ لَمْ يَصْنَعْ آيَةً مُعْجَزَةً فِي حَيَاتِهِ. أَلَا يُحَدِّثُنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي سَيَصْنَعُهَا الشَّيْطَانُ مُضَلَّلًا الْمُخْتَارِينَ إِذَا أَمَكَّنَ؟ لَكِنْ كَيْفَ تَمَّ وَصَفُ تِلْكَ الْآيَاتِ إِنَّهَا آيَاتٌ وَعَجَائِبُ مُزَيَّفَةٌ، هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّهَا مُعْجَزَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ مَصْنُوعَةٌ لَخِدْمَةِ أَهْدَافِ شَيْطَانِيَّةٍ، لَا، لَيْسَتْ هَذِهِ آيَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ مُسْتَخْدَمَةٌ لِأَعْرَاضٍ سَيِّئَةٍ، إِنَّهَا آيَاتٌ مُزَيَّفَةٌ، أَعْمَالٌ مُزَيَّفَةٌ وَخُدْعٌ. وَهِيَ أَكْثَرُ دَهْشَةٍ مِنْ أَعْمَالِ أَفْضَلِ السَّحَرَةِ الَّذِينَ يُمَكِّنُ أَنْ تُصَادِفُوهُمْ فِي هَذَا الْعَالَمِ، لَكِنَّهَا خُدْعٌ. لِأَنَّ ثَمَّةَ أَمْرًا لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَنْسَاهُ أَبَدًا، وَهُوَ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَيْسَ اللَّهُ. لَا يُمَكِّنُ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَصْنَعَ الْأَعْمَالَ الَّتِي يَصْنَعُهَا اللَّهُ. فَالْمُعْجَزَاتُ الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي يَسْتُخْدِمُهَا اللَّهُ لِإِثْبَاتِ أَصَالَةِ رُسُلِهِ وَإِثْبَاتِ أَصَالَةِ وَسَطَاءِ الْإِعْلَانَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، هِيَ أَعْمَالٌ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ سِوَى اللَّهِ أَنْ يَصْنَعَهَا. يُشْبِهُ الْأَمْرُ فِعْلَ شَيْءٍ مِنْ لَا شَيْءٍ، يُشْبِهُ إِقَامَةَ الْمَوْتَى، لَا يُمَكِّنُ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ. لَا يُمَكِّنُ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا مِنْ لَا شَيْءٍ، لَا يُمَكِّنُ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَجْعَلَ رَأْسَ الْفَأْسِ تَعُومُ، لَا يُمَكِّنُ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَحَكَّمَ بِقَوَانِينِ الطَّبِيعَةِ، إِنَّهُ مُجَرَّدُ سَاحِرٍ، إِنَّهُ سَاحِرٌ نَاجِحٌ لَكِنَّهُ شَرِيرٌ، إِنَّهُ مَاهِرٌ فِي حِيلِهِ لَكِنَّ حِيلَهُ شَرِيرَةٌ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ.

نَحْنُ نَرَى هَذَا الْأَمْرَ يُحْدِثُ خِلَالَ الْمُوَاجَهَةِ الَّتِي كَانَتْ لِمُوسَى مَعَ السَّحَرَةِ فِي بِلَاطِ فِرْعَوْنَ. مَا الَّذِي جَرَى؟ أَحَدَ مُوسَى تِلْكَ الْعَصَا الَّتِي أَعْطَاهُ إِيَّاهَا اللَّهُ، وَرَمَاهَا عَلَى الْأَرْضِ فَتَحَوَّلَتْ إِلَى حَيَّةٍ. فَقَالَ سَحَرَةُ فِرْعَوْنَ مُتَثَائِبِينَ: "هَلْ هَذَا أَفْضَلُ مَا يُمَكِّنُكَ فِعْلُهُ؟" فَرَمُوا جَمِيعًا عَصِيَّتَهُمْ عَلَى الْأَرْضِ وَتَحَوَّلَتْ كُلُّهَا إِلَى حَيَّاتٍ. كَيْفَ فَعَلُوا ذَلِكَ؟ إِنَّهَا

أَفْضَلُ خُدْعَةٍ فِي تَارِيخِ خِفَّةِ الْيَدِ. كَانَ هَؤُلَاءِ حَامِلِينَ عَصِيهِمْ، وَدَاخِلَ كُلِّ عَصَا كَانَتْ تُوجَدُ حَيَّةٌ، كَانَتْ الْحَيَّاتُ مَوْجُودَةً فِي الدَّخْلِ أَسَاسًا. هُمْ لَمْ يُحَوِّلُوا الْعَصَا إِلَى حَيَّةٍ. وَلَمَّا وَقَعَتِ الْعِصِيُّ تَمَكَّنَتِ الْحَيَّاتُ الْمَوْجُودَةُ فِي دَاخِلِهَا مِنَ الْخُرُوجِ، وَهُمْ ظَنُّوا أَنَّ هَذَا كُلُّ مَا يَسْتَطِيعُ مُوسَى أَنْ يَفْعَلَهُ وَأَنَّ الْحَيَّةَ كَانَتْ مُحْفِيَّةً دَاخِلَ الْعَصَا. لَكِنْ لَا، فَعَمَلُ مُوسَى كَانَ أَصِيلًا. ثُمَّ أَحْضَرَ الْجَمِيعَ حَيَّاتِهِمْ، وَطَرَحَ مُوسَى حَيَّتَهُ، فَأَكَلَتْ حَيَّتُهُ جَمِيعَ الْحَيَّاتِ الْأُخْرَى وَانْتَهَتِ اللَّعْبَةُ. هُمْ لَمْ يُضَاهُوا مُوسَى لِأَنَّهُمْ لَمْ يُضَاهُوا اللَّهَ. وَكُلُّ الْحَيْلِ وَالْمَكَايِدِ الَّتِي كَانَ يَأْمَكَانِ سَحَرَةَ الْقَضْرِ التَّابِعِينَ لِفِرْعَوْنَ أَنْ يَصْنَعُوهَا لَمْ تَسْتَطِعْ فِعْلًا أَنْ تُحَوِّلَ مِيَاهَ النَّيْلِ إِلَى دَمٍ، أَوْ أَنْ تُنْزِلَ الصَّرْبَاتِ، وَحَتْمًا هِيَ لَمْ تَكُنْ تَتَمَتَّعُ بِقُوَّةِ الْفِصْحِ.

إِذَا، نَحْنُ نَرَى هَذِهِ الْمُعْجَزَاتِ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّتِي كَانَ لَهَا هَدَفٌ مُبَاشِرٌ وَهُوَ شِفَاءُ الْمَرْضَى، وَإِقَامَةُ الْمَوْتَى، وَخِدْمَةُ الْمُتَأَلِّمِينَ، وَالْقِيَامُ بِجَمِيعِ أَعْمَالِ الرَّحْمَةِ. لَكِنْ فِي نِهَائِيَةِ الْمَطَافِ تِلْكَ الْمُعْجَزَاتُ تُثَبِّتُ وَتُبْرَهُنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ، وَأَنَّ يَسُوعَ يُعْلِنُ الْحَقَّ، وَأَنَّ مَا مِنْ رُوحٍ شَرِّيرٍ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ نَظِيرًا لَهُ. إِذَا، نَحْنُ نَرَى فِي هَذِهِ الْعَلِيْقَةِ الْمُتَّفِدَةِ إِعْلَانَ شَخْصِ اللَّهِ، إِعْلَانَ قُوَّةِ اللَّهِ، وَإِعْلَانَ أَرْزَلِيَّةِ اللَّهِ، وَإِعْلَانَ رَأْفَةِ اللَّهِ، وَإِعْلَانَ فِدَاءِ اللَّهِ، وَفِي النِّهَايَةِ، إِعْلَانَ حَقِّ اللَّهِ.

الدكتور آر. سي. سبرول هُوَ مُؤَسَّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِيرِ، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيسَةِ الْقَدِيسِ أَنْدَرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسٍ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلِإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ أَلْفَ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُنَّا لَاهُويُّيون" (Everyone's A Theologian).